يفوق كل ما انجزه الفلسطينيون على هذا الصعيد خلال سنوات نضالهم الكياني السابق . فقد انجز بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، وتم إرساء دعائم حضورها الدائم فلسطينيا وعربيا ودوليا . وفوق ذلك تمت بلورة اهداف كيانية اكثر وضوحا وتحديداً من ذي قبل . واقتربت مفاهيم الكيانية لدى منظمات المقاومة من محددات الكيان الاساسية ، وهي السلطة والارض والشعب .

ففي هذه المرحلة ، تم لاول مرة في تاريخ النضال الكياني تبني شعار اقامة سلطة وطنية فلسطينية مستقلة كهدف نضالي مركزي .

وفي هذه المرحلة ، جرى كذلك الحديث عن الضفة الغربية كأرض فلسطينية تخص الشعب الفلسطيني وحده ومشروع سلطته السياسية ، وتركز النضال السياسي لمنظمة التحرير على هدف منع عودة الحكم الاردني للضفة الغربية . والى جانب ذلك حسمت ، بشكل كلي ، مسألة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني ، وتم اعتماد منظمة التحرير على المستويين العربي والدولي كممثل شرعي وحيد غير منازع ، وسلم الاردن لاول مرة للمؤسسة الكيانية الشرعية الفلسطينية بهذا الحق .

وتوجت هذه الخطى الكيانية ، بالخطوة الكبرى والاساسية عندما تبنى مؤتمر القمة العربي ، الذي عقد في الرياض عام ١٩٧٦ ، رسميا شعار الدولة الفلسطينية المستقلة .

وهكذا ، وفي وهج هذه الانتصارات الكيانية ، تبنت رسميا كل قيادة العمل الفلسطيني الممثلة في الهيئة الاشتراعية الاساسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، المنعقدة في شهر آذار ١٩٧٧ في القاهرة ، اعلانا سياسيا مكوناً من خمس عشرة نقطة قرار مؤتمر القمة العربي في الرياض ، الذي نقل منظمة التحرير الفلسطينية من منظمة تساوي حركة وطنية كما يقول المؤلف ، الى منظمة تساوي دولة ومرجعا سياسيا قاطعاً في كل الشؤون والتفاصيل الفلسطينية . وبذلك صارت الدولة الفلسطينية المستقلة بوصلة العمل الهادية للتطبيقات الدبلوماسية والعسكرية المتصاعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وتبقى لنا ملاحظات

بعد هذا الجهد المضني والهام الذي بذله المؤلف في هذه الدراسة ، وقبل أن نناقش محتوى الكتاب ونبدي ملاحظاتنا عليه ، لا بد من القول بأن الشعيبي قد تجاوز بهذه الدراسة كثيرا مرحلة التجريب والولادات القيصرية في الكتابة ، ولم يضيع شاطئه في هذه السباحة الطويلة ، فوصل وهذا هو المهم .

اما عن ملاحظاتنا فنبدأ بالعام منها وهي كالتالي :

١ ـ الاقتباسات الكثيرة والطويلة والمكررة تنهك القارىء وتتربص به في كل زواريب وازقة البحث لتنتصب امامه كالمتاريس فيتشتت احسابها ، ويبحث عن المؤلف فلا يجده . لقد إختفى الشعيبي خلف هذه الاقتباسات التي تشكل ثلاثة ارباع الكتاب . وهي طريقة مألوفة لدى البعض ، ولكنها غير مقبولة في تهريب وجهات النظر المترتبة على استقراء هذه الاقتباسات التي لا يجوز لها ان تبهت شخصية الكاتب . فالاقتباسات والاستشهادات في اي بحث يجب ان تبقى طفيفة هامشية كالظلال في اللوحة الفنية ، كلها من الكماليات التي لا يتم الكمال الا بها .

٢ ـ لست من اتباع المدرسة التي تبيع وهما إسمهُ الحياد في البحث باسم الموضوعية . وفيما أظن ، فان الشعيبي كذلك . فقد اختار كما يقول منذ البدء موقفا دون ان يفقد رؤية المواقف الأخرى . أما اختياره لموقف فبعد قراءتنا للكتاب لا نشك بذلك ، واما عن رؤيته لمواقف الآخرين فهي امنية لديه ولدينا لم تتحقق على ما يبدو ، بل بقيت معلقة وبقينا نعج بالاحباط .

فالكتاب متخم بالاقتباسات الشيقة ولكنها متحيزة واحادية الجانب بشكل فاقع ، إن بمصادرها أو بعددها او بطولها او بمواقعها في صلب البحث ، حيث اعاد الكاتب ترتيب المشاهد من خلال هذا التحيز ، مما افقدها مقتضيات الاستقراء الحصري . فمن بين ٣٦٢ اقتباسا وردت في الكتاب والتهمت ثلاثة ارباعه ، نجد أن المؤلف قد تمكن من استقراء مواقف « فتح » من اكثر من مصدر أصيل مطبوع وشخصي عبر خمسين اقتباساً . اما تجربة حركة القوميين العرب الغنية بالارهاصات الكيانية فقد اكتفى بخمسة اقتباسات منها فقط ومن مراجع ثانوية . اما فكر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فقد استقاه المؤلف من ست اقتباسات ومن مصدرين فقط على الرغم من سيل الادبيات الرسمية الاصيلة للجبهة . لقد تعامل المؤلف مع جريدة « الحياة » اللبنانية ست